

المرتكزات الفكرية لللاعنف في فكر (ليف تولستوي) السياسي

م. د. فاطمة عطا جبار*

*وزارة التعليم العالي
والبحث العلمي-دائرة
البحث والتطوير
Fatma.ata1101b@
copolicy.uobaghdad.
edu.iqالبريد الإلكتروني:

ملخص :

يشكل العنف في الوقت الحاضر مشكلة كبيرة تواجهها الشعوب والدول. مما يتطلب البحث في الأفكار السياسية المناقضة لها. للكشف عن الطول والاختيارات المتاحة لكل من الفرد والدولة على حد سواء. لان العنف لم يعد يقتصر على المؤسسات المنتظمة في الدولة بل انه تعداها الى ابسط خلية في المجتمع بقدرتها على اقتناء السلاح واستخدامه، فضلاً عن المجاميع المنتظمة تحت لواء الحركات والتنظيمات السياسية الحزبية الاخرى. مما يشكل تهديداً كبيراً لحياة الناس وارواحهم، وعدم استقرار للدول التي يواجهون عنفهم اليها. فالهدف من بحثنا عن اللاعنف في فكر تولستوي السياسي هو الكشف عن انواع العلاقات الانسانية التي بحثها في ضوء فكرته انفا، وتأثيرها على كل من الفرد والمجتمع والدولة. وبيان طريقة التعامل مع العنف ان وجد وتجنب العنف من البدء في هذه العلاقات. ومن اهم النتائج التي توصلنا اليها: ان الدين عامة والمسيحي خاصة في فكر تولستوي السياسي بما يتضمنه من قيم واخلاق، حاكماً في تحديد طبيعة العلاقات الانسانية بأنواعها المختلفة، مصدر الاديان ذات اساس واحد مستقاة من القانون الالهي الذي يجرم العنف ويدعو الى نقيضه السلام والمحبة والتعاون والالفة بين بني البشر.

كلمات مفتاحية : تولستوي، فكر سياسي، اللاعنف، آلية التغيير السياسي، عنف.

The Intellectual Foundations of Non-Violence in (Lev Tolstoy) Political Thought

Inst.Dr. Fatima Atta Jabbar

Ministry of Higher Education and Scientific Research

- Research and Development Department

ABSTRACT:

Violence at the present time is a big problem faced by peoples and countries. This requires research into the contradictory political ideas to reveal the solutions and options available to both the individual and the state alike. Because violence is no longer confined to the regular institutions of the state, other political party movements and organizations acquired it which make up a great threat to people's lives, and instability of state. The aim of this research on nonviolence in Tolstoy's political thought is to reveal the types of human relations that he examined in the light of his idea, and its impact on the individual, society, and the state, determining how to deal with violence, if any, and avoiding violence from initiating these relationships. Among the most important conclusions obtained are: religion in general and Christianity in particular with its values and morals, is a measure in determining the nature of human relations in their various types. Because religions have one foundation and stems from divine law, which criminalizes violence and calls for its opposite, peace, love, cooperation, and intimacy among human beings.

KEY WORDS: Tolstoy, political thought, nonviolence, The means of political change, violence.

المقدمة:

يعد الفكر السياسي أحد أهم مجالات الوعي الانساني عامة والسياسي خاصة. فعلى امتداد الازمة والعصور برز مفكرين سياسيين حاولوا في ضوء طرح فكرهم السياسي حل المشاكل التي واجهت مجتمعاتهم. سواء كانت حلول واقعية ام مثالية غير قابلة للتطبيق، فمن الافكار المثالية تنبع في بعض الاحيان حلولاً واقعية قابلة للتطبيق بوسائل وآليات معينة. وتعد فكرة اللاعنف في فكر تولستوي السياسي احد اهم هذه الافكار المثالية التي بُعثت منها حلولاً قابلة للتطبيق ولا سيما في الهند في عهد المهاتما غاندي، والحركات السياسية والاجتماعية الاخرى التي اتخذت من الطريق السلمي مجالاً للتغيير ونيل الحقوق والتخلص من العبودية.

يقدم لنا تولستوي في فكره السياسي عن اللاعنف مجموعة من الافكار والنصائح والتوصيات، التي ترشدنا لكيفية تجنب (العنف والقتال) والتعامل معهما في حال وقوعه، سواء بين افراد الدولة الواحدة ام مع الدول الاخرى للتمكن من الاستمرار بحياة لاعنفية قائمة على التعاون والمحبة والكمال الروحي والاخلاقي كذلك ارادها الله للانسان وثبتها في قانونه الالهي. فعلى الرغم من المدى الزمني الذي يفصلنا بين المرحلة التاريخية التي عاشها تولستوي وقدم فكرته عن اللاعنف والمرحلة التاريخية الحالية التي نعيشها. فإن فكرته عن اللاعنف تعد معاصرة يحتاجها الحاكم والمحكوم معاً، نظراً لما تعانيه الانسانية من حالات عنف واقتتال دامي، ولاسيما اذا نظرنا للاحداث الجارية في النظام العالمي اليوم ومنها على سبيل المثال الحرب المستمرة بين الدولة الروسية والاوكرانية التي طال امددا ونحن في شهرها العاشر الان. واثارها التي لم تقتصر على الطرفين الدائرة بينهما بل امتدت لدول وشعوب عديدة اخرى، نتيجة للحاجة للغذاء ولامدادات الطاقة والوقود

التي توفرها الدولتين المذكورتين. فضلاً عن حالات العنف التي تحدث في بعض الدول ومنها العربية عامة والعراق خاصة التي تسبب عدم الاستقرار وتحول بين استكمال عملية بناء الدولة ومؤسساتها.

اهمية البحث:

يشكل البحث في اللاعنف في فكر تولستوي السياسي اهميتان ضرورتان: تجسدت احدهما بالعلاقات الدولية القائمة على اساس استخدام القوة والتهديد بأستخدامها، والاثار المترتبة عن ذلك بالتوتر وعدم الاستقرار السياسي والاجتماعي والنفسي لدى الدول والشعوب. والاخرى تمثلت بالتعرف على الجانب السياسي في فكر تولستوي غير المدورس في العالم العربي نظراً للاهمية التي تشكلها شخصيته المعروف عنها لدى «الشرق بأنه كاتب وروائي اكثر منه مفكراً سياسياً».

اهداف البحث:

يهدف البحث الى ما يأتي:

- 1- تشخيص المرتكزات الفكرية التي ارتكز عليها تولستوي في فكره السياسي عن اللاعنف، من ناحية تسليط الضوء على شكل العلاقة التي تربط الانسان بالله والعلاقة التي تربط الانسان بالانسان الاخر والعلاقة التي تربط الانسان بالمجتمع والدولة.
- 2- تحديد نوع العلاقة بين كل من (الانسان والله) و(المجتمع) و(الدولة) من جانب، والدول الاخرى من جانب اخر.
- 3- التركيز على اهمية اللاعنف في مقابل العنف في بناء الانسان لنفسه ولمجتمعه وللدولة التي ينتمي اليها والعلاقة مع الدول الاخرى.

مشكلة البحث:

تتمثل مشكلة الدراسة بالتساؤل الرئيس الاتي: ما انواع العلاقات التي بحثها تولستوي بفكره السياسي في اللاعنف وما هي اثارها وهل تشكلت بمرتكزات فكرية سياسية خاصة ومستقلة؟

فرضية البحث:

تتجسد فرضية البحث بما يأتي: شخص فكر تولستوي السياسي ببحثه في اللاعنف مجموعة من العلاقات المتنوعة منها ما هو ذاتي علاقة الفرد بنفسه

وبخالفه، ومنها ما هو موضوعي، علاقة الفرد بمجتمعه ومنها ما هو تعددي علاقة الفرد بالدولة، و علاقة الدول الاخرى ببعضها البعض وتأثير كل منها على الاخرى، تشكلت عبر مرتكزات فكرية سياسية مستقلة ولكنها متداخلة في افكارها، متصلة بالهدف والنتيجة.

مناهج البحث:

اعتمدت دراستنا في اللاعنف في فكر تولستوي السياسي على المنهجين الوصفي والتحليلي للمضمون والمنهج المقارن الذي تم استخدامه للمقارنة بين المفاهيم ومنها العنف واللاعنف. بغية الاجابة عن مشكلة البحث والتحقق من صحة الفرضية من عدمها.

الدراسات السابقة:

من الدراسات السابقة التي تطرقت لفكرة اللاعنف هي رسالة الماجستير غير المنشورة التي تقدم بها السيد هشام عبد الملك محسن بعنوان نظرية اللاعنف عند المهاتما غاندي، كلية العلوم السياسية، جامعة بغداد، لسنة 2016. التي تناولت في ثناياها تأثر المهاتما غاندي بفكر تولستوي السياسي عن اللاعنف، الا انها لم تتطرق الى افكار تولستوي الخاصة بفكرة اللاعنف، وهو ما شكل فجوة بحثية تطلبت دراستنا معالجتها والتصدي لها.

هيكلية البحث:

لم يقتصر العنف على زمان او
عصر ما دون اخر

تم تقسيم البحث على احد عشر مطلباً تناولنا

فيها المرتكزات الفكرية السياسية لتولستوي وتم تبويبها وتصنيفها بطريقة لم نجدها في الدراسات السابقة، لاجل ابراز استقلالية المرتكزات وان كان هنالك ترابط بالفكرة فيما بينها وفقاً لفكر تولستوي السياسي ببحثه لها.

المطلب الأول: عدم مقاومة الشر بالعنف:

لم يقتصر العنف على زمان او عصر ما دون اخر، لأنه لازم

الإنسان في مسيرة حياته مؤثراً ومتأثراً فيه. والسبب في ذلك يعود الى مسببات العنف الموجه ، اما للأغراض الدفاع عن النفس، او لأجل الحصول على الطاعة من الآخر لحكمه او استغلاله او اضطهاده، او كلها مجتمعة⁽¹⁾.

في نهاية القرن التاسع عشر تم تشكيل فلسفة اللاعنف، وكان مؤلفها(تولستوي)⁽²⁾، الذي درس بالتفصيل مشكلة العنف بين السلطات والدولة من موقع الأخلاق. في جوهر نظامه الفلسفي تكمن الفكرة الاتية: نشأت السلطة عندما كانت هناك مقاومة للشر بالعنف⁽³⁾. ارتكز

(1) ماجد الغرباوي، تحديات العنف، (بيروت-العراق، العارف للمطبوعات، 2009)، ص 29
(2) *ليف نيكولايفيتش تولستوي(1828-1910): ولد "في قرية (ياسنايا بوليانا) في ولاية طولا من أعمال روسيا"، أنحدر من عائلة عريقة . نشأ على الدين المسيحي الارثوذكسي ولكنه تخلص عن ايمانه في الثامنة عشر من عمره، الا انه لم ينكر وجود الله، لكنه نفر من التعليم الكنسي والشعائر التي كان عليه ان يؤديها. دخل الجيش وساهم في حرب القرم، وبدأ بالكتابة وهو في الجندية وعند انتهاء الحرب اكتسب شهرته، ومن أشهر ما كتب الروايتين الكبيرتين "الحرب والسلام" و "انا كارنينا". اتهمت الكنيسة تولستوي بأنه ملحد نتيجة لرفضه الاعتراف بمجموع العقائد الكنسية، وافرغ الدين من ما كان يعتقد به ما عدا التعاليم الاخلاقية التي تتضمن "الموعظة على الجبل". وبذلك حدث تحول فكري في حياة تولستوي الواعية، وانقسمت إلى نصفين متساويين كل منهما 32 عامًا النصف الاول عندما بلغ الثامنة عشر، والثاني بدأ في الخمسين من عمره الذي كان بمثابة إنكار للاول. أدت الأزمة الروحية المتزايدة إلى اضطراب حاد لا رجعة فيه في نظرة تولستوي للعالم، اذ حدث له تغيير جذري في الأسس الأخلاقية للحياة. تأثر تولستوي بكل من روسو وشوبنهاور وكانط وسقراط وأفلاطون وإبيكتيتوس وماركوس وأوريليوس من الفلاسفة الاوائل. يُصنف تولستوي على انه كاتب ومفكر وناشط اجتماعي روسي عظيم تركت أعماله أثرًا عميقًا في حياة روسيا. رأى تولستوي جوهر الإدراك في فهم معنى الحياة وفي إيجاد إجابات للعديد من أسئلة الوجود الأخرى. انتقد تولستوي البنية الاجتماعية والسياسية لروسيا في تلك الأوقات، وأمل في التقدم الأخلاقي والديني في الوعي البشري. ساهم بشكل كبير في تعزيز وجهات النظر السياسية والقانونية الفريدة حول القانون والنظام الحكومي والعلاقات الدولية والتعليم وغيرها من مجالات الحياة المهمة. ف " نحن امام مفكر عظيم عرفه الشرق كأديب اكثر منه كمفكر". ينظر :

ليو تولستوي، بدائع الخيال، ترجمة: عبد العزيز امين الخانجي،(د.م، مؤسسة هندواي، 2012)، ص.8. وليف تولستوي ،،الحرب والسلام (1)، ترجمة: سامي الدروبي،(تونس، دار التنوير للطباعة والنشر، 2017)، ص ص 21-23. وليف تولستوي ، اعترافات تولستوي، ترجمة: محمود محمود،(د.م، مؤسسة هندواي، 2018)، ص.8. و ليف تولستوي ، في الدين والعقل والفلسفة، ترجمة :يوسف نبيل، (القاهرة، دار افاق للنشر والتوزيع، 2018)، ص.12. وكذلك ينظر:

Назирова Р. Г., "Лев Толстой" Назировский архив, no. 2 (24 2019).c.8. И Тураевич Усанов Равшан. 2014. "Принцип ненасилия Толстого" Ученые записки Худжандского государственного университета им. академика Б. Гафурова. Гуманитарные науки, no. 4 (41): 2014. С.267. И Абдулкеримович Гусейнов Абдусалам, and Предраг Чичовачки. "Философское наследие Л. Н. Толстого" Философский журнал, vol. 11, no. 22018 :c.6-7. And Sushkova, Y. N. "Lev Nikolayevich Tolstoy: political and legal views and protection of religious rights." (2016),p.111 and p127.

(3) Беляева А.А...
"Философия ненасилия
Л. Н. Толстого и теория
русск классическог
анархизма" Вестник
Ленинградского
государственного
университета им. А.
С. Пушкина, 2020.но.
с.109.

(4) ليو تولستوي،
اعترافات تولستوي، مصدر
سبق ذكره، ص 10.

(5) محمد لطفي
صابر السيد، الدين في
فكر تولستوي، مجلة
الدراسات الانسانية
والادبية، 26، عدد 2، (يناير)
2022، ص 282-283.

(6) ليف تولستوي،
ملكوت الله في
داخلكم، ترجمة: هفال
يوسف، (سوريا-
دمشق، معابر للنشر
والتوزيع، 2010)، ص 32-
35.

فكره السياسي في فلسفته عن اللاعنف على الدين الذي ربط به كل شيء فهو الرؤية التي تمكن الانسان من فهم موقعه ووظيفته من الكون ودوره فيه لتحديد قانونه الاخلاقي. (4) لان اساس الاديان في فكر تولستوي واحد مرتبط بجانب القيم والاخلاق يحدد علاقة الفرد بالآخرين، وتوجهه في كيفية التعامل معهم. (5) وعلى ذلك انتقد تولستوي عمل معلمي الكنيسة المتناقض مع وصايا المسيح المعبر عنها في الموعظة على الجبل وخصوصاً فيما يتعلق بوصية عدم مقاومة الشر بالقوة لا فقادهم تعليم المسيح محتواه. فالتناقض يكمن في كيفية الجمع بين التربية على العفو والزهد والوداعة ومحبة الجميع (الاقرباء والاعداء) المشار اليها في اقوال المسيح وبين موجبات العنف والحرب نحو البشر سواء كانوا من الشعب الروسي ام من شعب اخر غريب. فلو علم البشر اجمع بتبشير الكنيسة بمسيح يقتل، بمسيح يعدم ولا يغفر لما أمن الناس بمثل هذه الكنيسة ولم يكن باستطاعة احد ان يبرهن على ما تبرهن عليه الكنيسة. والتسليم بوجود الشر في الناس انما ينهي معنى التعليم المسيحي الذي قضى بمساواة واخوة البشر كعباد لله الواحد الاحد، اما ما يتعلق بأباحة استخدام العنف ضد الاشرار فإنه لا يوجد تعريف او معنى يقيني لتحديد من هو الشرير، حتى وان تم تحديد الاشرار وتمييزهم من غيرهم بشكل يقيني فإن المجتمع المسيحي لم يجوز اعدامهم او تشويهم او زجههم في السجون لان المسيحي بعده مسيحياً مجبراً على عدم استخدام العنف نحو الاشرار. وقد اشار الى قول المسيح الصريح « ان من يأخذ السيف بالسيف يهلك ». (6)

عدم المقاومة في فكر تولستوي ليس موقفاً سلبياً تجاه العنف، ولكنه مسار محدد يحول علاقة العداء بين الناس إلى علاقة تعاون بينهم. ومن أجل تحييد عنف سلطة الدولة رفض المشاركة في كل ما يدعم سلطتها في الجيش والشرطة ورفض

دفع الضرائب ودعا الفلاحين للتخلي عن السخرة لدى مالكي الاراضي. (7)

نفهم من تحويل علاقة العداء الى تعاون بين الناس في فكر تولستوي عندما يشعر احدنا بالظلم ومحاولات استرداد الحقوق نُحْكِم الاخلاق وصوت الضمير ومعايير الدين التي لا تسمح بمقابلة الشر بالشر او العنف بالعنف، وهو ما يجعل الطرف البادئ بالعنف يتراجع عنه نظراً لعدم مقابله بالمثل.

ان عدم مقاومة الشر بالقوة لا يعني أنه يجب على المرء أن يرفض حماية حياة وعمل الفرد والآخرين ولكنه يعني فقط، حماية كل هذا بطريقة مختلفة لا تتعارض مع عقلانية الإنسان ؛ من الضروري حماية حياة وعمل الآخرين وحياة الفرد من خلال إيقاظ العقل في نفس الشرير المهاجم. تتكون هذه الطريقة بشكل أساسي من الكمال الروحي للفرد ، وهو أمر ضروري لاكتساب قوة التأثير على الآخرين بحب جيد وإضاءة معقولة. (8) تتحقق حقيقة

ان عدم مقاومة الشر بالقوة لا يعني أنه يجب على المرء أن يرفض حماية حياة وعمل الفرد والآخرين

اللاعنف في نظام السلوك الفردي المسؤول، ولا توجد طريقة أخرى للتغلب على العنف إلا برفض ارتكابه، فلاشي يمنع من ادراك هذه الحقيقة واتباعها. (9)

إن خلاص الإنسانية وفقاً لتقديرات تولستوي يكمن في تطبيق العقيدة المسيحية فقط، أو أجزاء منها، لأهميتها الحقيقية لحياتنا اليومية. (10) ان عدم مقاومة الشر بالقوة تعليم مسيحي حقيقي لا بد من الاعتراف به وادخاله في الحياة ، لكونه يفتح حقبة جديدة للبشرية، ولانه الوسيلة الوحيدة فقط لإنقاذ الناس من الكوارث التي يجلبونها والتي تتزايد عن طريق القتل والعنف والحروب. (11)

اتفق مجموعة من الباحثين الروس على ان تولستوي لم يطور تكتيكات «عدم مقاومة الشر بالعنف» لكن في الممارسة العملية

(7) Петровна Меняева Марина.. "Идея ненасилия в контексте философии культуры (Л. Н. Толстой, М. Ганди и Э. Фромм)" Вестник культуры и искусств, no. 1 (17). 2009с.24.

(8) Толстой. Лев, , Неизбежный переворот.1909, <http://tolstoy-lit.ru/tolstoy/philosophy/neizbezhnyj-perevorot.htm>

(9) Абдулкеримович

Гусейнов Абдусалам, and Предраг Чичовачки. "Философское наследие Л. Н. Толстого" Философский журнал, vol. 11, no. 2. 2018. C.12.

(10) Tolstoy, Leo. The Kingdom of God is within You: Christianity not as a Mystic Religion but as a New Theory of Life. Barnes & Noble Publishing 2005 .. P.123.

(11) Толстой. Лев, НЕ УБИЙ НИКОГО.1907 <http://tolstoy-lit.ru/>

tolstoy/publicistika/
ne-ubij-nikogo.htm

، تم تأكيد تعاليمه في الهند ، حيث حقق الشعب الاستقلال من الاستعمار من خلال أعمال غير عنيفة. بقيادة المهاتما غاندي، وهو تلميذ وداعية مخلص لتولستوي. وتعد فكرة تولستوي وفقاً لذلك كواحدة من أكثر الأدلة إقناعاً ومفتاح نجاح أي حركة اجتماعية لها أهداف أخلاقية عالمية وتحفزها فكرة تحسين العالم والإنسان.(12)

(12) Александрович
Дзевенис Анатолий. "Лев
Толстой актуален всегда"
Дальневосточный
аграрный вестник,
no. 2 (18)2011 :с.70.
и Львовна Гельфонд
Мария, Николаевна
Мишук Оксана, and
Юрьевна Мирошина
Евгения. "Программа
ненасилия Л. Н.
Толстого: моральная
утопия или социальная
стратегия успеха?"
Известия Тульского
государственного
университета.
Гуманитарные науки, no.
21022020 :с.112.

نستخلص من عقيدة عدم مقاومة الشر بالقوة في فكر تولستوي السياسي بتأكيد على معايير الاخلاق المنبثقة من الدين المسيحي بأعلاء صوت الضمير الانساني العادل الذي لا يبادر بالشر او القوة لجني الحقوق او الايفاء بالالتزامات والواجبات، انطلاقاً من رفضه المشاركة في الخدمة العسكرية على سبيل المثال لانها لا تكون الا لغرض محاربة الدول وقتل الشعوب او أي عمل ومهنة اخرى تؤدي الى نفس النتيجة. نجد ان كل ما بينه في عقيدته هذه انما اراد بها اعادة تربية الفرد والزامه بادراك حس الضمير والمسؤولية المترتبة عليه ازاء الافراد الآخرين.

ننقد ما ذهب اليه تولستوي بشأن التركيز على الديانة المسيحية بشكل اساس لعدم مقاومة الشر بالقوة لانه في النتيجة اساس الاديان واحد لديه فلماذا التركيز على الدين المسيحي تحديداً، وجعل عقيدته في عدم مقاومة الشر بالقوة تعليم يختص به الدين المسيحي فقط وان طريق خلاص الانسانية يكون وفقاً له ليس الا، لكون الدين الاسلامي قد اشار في مواضع عدة في القرآن الكريم على ذلك ايضاً، ولانه الدين الذي ختم الله به الاديان جميعها.

المطلب الثاني: الغزوف عن الرد:

آمن تولستوي بأحلال ملكوت الله في حياة الافراد والمجتمعات عندما يطبق الناس وصايا المسيح الخمس وبالخصوص: « 1- العيش بسلام مع الناس كافة 2- عيش

حياة طاهرة 3- عدم القسم 4- عدم مقاومة الشر قط 5- نبذ الاختلافات بين الشعوب». (13) اذ نظر تولستوي الى الدين المسيحي كتعليم مسيحي اخلاقي ، والى المسيح بعده مصلح هدم اسس الحياة القديمة لينشئ اخرى جديدة بدلاً عنها، مانحاً اياها اسس اصلاحها الجديد. (14) وضع تولستوي تساؤلاً مفاده « ما لسبيل لحل الخلافات بين البشر عندما يعد بعض الناس شراً ما يعده اخرون خيراً وبالعكس » ، طارحاً جوابان لا غير : (اما ايجاد معيار صحيح يحدد الشر شراً والخير خيراً ، واما عدم مقاومة

(13) ليف تولستوي، ملكوت الله في داخلكم، مصدر سبق ذكره، ص 38-39.

نظر تولستوي الى الدين المسيحي كتعليم مسيحي اخلاقي

الشر بالقوة). (15) مشيراً الى ان الجواب الاول قد تم تجربته منذ العصور التاريخية الاولى ولم يؤد الى وجود مخرج. والجواب الثاني وهو اقتراح المسيح: عدم مقاومة الشر بالقوة لحين ايجاد معياراً مشتركاً. وقد انتقد من قام بأستبدال هذا الجواب عندما زعمت بعض الشعوب المعبر عنها بالهمجية التي لم تفهم جوهر الموضوع وقدمت تعريفا للشر ومعياراً لاشك فيه من الجميع. عن طريق الاقرار بمنح الشخصيات النافذة او مجالس البرلمان الحق بتعريف الشر، والحق في مقاومته بالعنف، وهو اقرار لم يحسم المسألة بشكل مطلق، اذ يوجد هنالك اناس لم يعترفوا بهذا الاقرار للمجالس المذكورة او للشخصيات النافذة. ولأن الخير والشر مجرد مقولات تقييمية للوعي الأخلاقي وهي ذاتية ، مثل أي ظواهر تقييمية. (16)

(14) المصدر نفسه، ص 42.

(15) المصدر نفسه، ص 44-46.

فقبل تعاليم المسيح ، بدا للناس أن الوسيلة الوحيدة لتسوية الخلاف هي مقاومة الشر بالقوة. ابتكر الرجال تعريفات للشر وحاولوا جعلها ملزمة للجميع. وقد اتخذت مثل هذه التعريفات للشر أحياناً شكل قوانين وأحياناً أوامر الحكام أو المجالس التي تُنسب إليها العصمة. لجأ الرجال إلى العنف ضد الآخرين، وأقنعوا أنفسهم والآخرين بأنهم يوجهون عنفهم ضد الشر المعترف به من قبل الجميع. تم استخدام هذه الوسيلة من الأزمنة

(16) Андреевна Селиверстова Нина.. "Парадоксы толстовской этики ненасилия" Гуманитарные ведомости ТГПУ им. Л. Н. Толстого, no. 3 (27): 2018.c.30.

الأولى ، خاصة من قبل أولئك الذين حصلوا على السلطة، ولم يتم الكشف عن اللاعقلانية لمدة طويلة. ولكن كلما طالت مدة حياة الرجال في العالم وزادت علاقاتهم تعقيداً ، كان من الواضح أن المقاومة بالقوة لما يعده كل شخص شراً أمراً غير منطقي، ولم يتم تقليل هذا الصراع بأي حال من الأحوال. (17)

(17) Tolstoy, Leo. .The Kingdom of God is within You .op. cit. p. 117.

وفي ذلك الحين بشر المسيح بعقيدته التي تتكون ليس فقط من تحريم مقاومة الشر بالقوة اي العزوف عن الرد، بل أعطت مفهوماً جديداً للحياة ووسيلة لوضع حد للصراع بين جميع البشر ومن هم في السلطة، بعدم اللجوء إلى القوة ضد أي شخص تحت أي ظرف من الظروف. تم قبول هذه العقيدة في ذلك الوقت من قبل عدد قليل جداً من التلاميذ. استمر غالبية الرجال ، وخاصة كل من كانوا في السلطة ، حتى بعد القبول الاسمي للمسيحية في الحفاظ على مبدأ المقاومة بالقوة لما اعتبروه شراً. كذلك كان تحت حكم الرومان والبيزنطيين ، وهكذا استمر لاحقاً. (18)

(18) Ibid. p.118.

يضع تولستوي على الافراد افتراض نقل الصراع مع الآخر والشر الموجه اليه الى روح الفرد ذاته، ولا يجب أن يكلف نفسه بمهمة محاربة الشر في الآخرين. الشخص لديه سلطة حقيقية فقط على نفسه، وعندما يرتكب العنف

**يضع تولستوي على الافراد
افتراض نقل الصراع مع الآخر
والشر الموجه اليه الى روح
الفرد ذاته، ولا يجب أن يكلف
نفسه بمهمة محاربة الشر في
الآخرين**

ضد شخص آخر، حتى لو كان يعتقد أنه يعدل، فإنه يتصرف بطريقة غير مسؤولة. هذا ليس من اختصاصه، فهذا عمل الله حصرياً. (19)

نستخلص من المحور اعلاه: عندما يضع كل فرد القانون الالهي حاكماً لأفعاله وتحديداً مع الآخرين فإنه قد ارتقى الى مرتبة عليا في

(19) Тураевич Усанов Равшан. "Принцип ненасилия Толстого". Там же. С.270.

الوجود، لان الله لم يوصي الا بما هو خير وسلام لبني البشر. انكر تولستوي المواجهة والاقتتال او اباحة العنف. الا ان الذين استولوا على السلطة لم يقتنعوا بهذا القانون متمسكين بقانون الجاهلية الاول بمقاومة الشر والعنف بالقوة. فالأجدى للإنسان

ان ينقل صراعه مع الآخر الى روحه الداخلية لتتكشف له عن مدى خبثها ونواياها الشريرة ليتمكن من معالجتها مع نفسه او لا قبل الالتقاء مع الآخر ومصارعته بالوسائل العنيفة المتاحة لديه. وعلى ذلك يتجسد لنا بأن البديل عن الرد في فكر تولستوي هو اصلاح الانسان لنفسه الداخلية التي تهدف الى اللجوء الى العنف ومحاربة الشر بالقوة. والتسليم بأوامر المسيح التي حددت طريقة التعامل مع الانسان الآخر، وهو موقف ايجابي يتحتم على الناس الايمان به والخضوع له استناداً لفكر تولستوي.

المطلب الثالث: قبول التطور في الحياة الانسانية:

اكد تولستوي على ان مبدأ اللاعنف المتجسد بالتعليم المسيحي المعبر عنه بوصية عدم مقاومة الشر بالقوة انما هو فهم جديد للحياة الذي دخل الى حياة الناس منذ 1800 عام. هذه الوصية تبدو للعلماء مبالغاً بها او جنوناً، وان النصح بنسخ او الغاء الوصية المذكورة اعلاه يعني عدم فهم التعليم المسيحي وفقاً لفكر تولستوي. هذا التعليم الذي يوجه الناس للوصول الى الكمال اللامتناهي لله وهو هدف فطري للإنسانية . ايأ كانت درجة الكمال التي يقفون عليها، ويرد على من يقول بأن الكمال المطلق لا يمكن بلوغه. لكن الاستمرار بالتوجه نحو هذا الهدف يضاعف خير الناس بشكل مستمر، وهو ما يعني اكثر الخير الى ما لانهاية.⁽²⁰⁾ يعرف تولستوي الحياة الانسانية بأنها : « حياة مركبة من الحياة البهيمية والحياة الالهية. وكلما اقتربت هذه الحياة المركبة اكثر الى الحياة الالهية كلما كانت فيها حياة اكثر». ⁽²¹⁾

(20) ليف تولستوي، ملكوت الله في داخلكم، مصدر سبق ذكره، ص81، وكذلك ص84.

ان التوجه نحو العنف واستخدام القتل والحرب في التعامل مع بني البشر انما حكمه القانون الاولي الذي خضعت له حياة الحيوانات.⁽²²⁾ اذ ليس في استطاعة الانسانية منفردة او مجتمعة العودة الى الوراء وانكار حركة التطور التي تسير في اتجاهين: « بوعي لأسباب روحية - وبلا وعي لأسباب مادية. ان عدم

(21) المصدر نفسه، ص86.

(22) ليف تولستوي «الحرب والسلام» (1)، مصدر سبق ذكره، ص17.

الرغبة في الاستجابة لحركة التطور والمضي في المواصلة على النهج القديم للحياة ومصارعة الجديد لن يؤدي الا الى بطء الوصول الى النتائج، لان البشرية تنتقل من عمر الى اخر ولا بد من تقبل العمر الجديد، وهو العمر الذي تعشيه الانسانية في الوقت الحاضر على حد تعبير تولستوي.⁽²³⁾

(23) ليف تولستوي، ملكوت الله في داخلكم، مصدر سبق ذكره، ص 97.

أن الاعتراف بالحاجة إلى مقاومة الشر بالعنف ليس سوى

**أن الاعتراف بالحاجة إلى
مقاومة الشر بالعنف ليس
سوى تبرير من قبل الناس
(لردائهم) المفضلة المعتادة**

تبرير من قبل الناس (لردائهم) المفضلة المعتادة. يشعر الكثير من الناس في العالم المسيحي بمحنة وضعهم ويستخدمون لإنقاذ أنفسهم الوسائل التي يعتبرونها ، من وجهة نظرهم للعالم ، صالحة وهذا يعني عنف بعض الناس على الآخرين.⁽²⁴⁾

(24) Тураевич Усанов
Равшан. "Принцип
ненасилия Толстого".
Там же. С.270.

يضعنا تولستوي في مرتكزه الفكري السياسي عن قبول التطور في الحياة البشرية بوجوب مغادرة الفكرة التي سيطرت على الانسانية قبل مجيء الدين المسيحي بمقاومة العنف بالقوة لكونها فكرة رافقت الناس حين لم يكن لديهم مفاهيم عن الايمان وعن وصايا المسيح التي تعلق بموعظته على الجبل بعدم مقاومة الشر بالقوة. مشيراً الى اعتياد الناس على امر فعلوه ويفعلوه ويعتقدون بصحته، وليس لديهم الاندفاع نحو تصحيحه لأسباب دينية وتاريخية والتي اثبتت عدم نجاعته او جلب الفائدة المتوخاة منه. ونحن في هذا الصدد نقدم الحرب الواقعة بين الدولتين الروسية والاوكرانية مثلاً لهذا الرفض من ناحية ان الدولة الروسية لا تتقبل انسلاخ الاراضي الاوكرانية من جسمها الجغرافي، وتجليها بقانون يخضع للدولة صاحبة الحق بها وهي الدولة الاوكرانية وشرعيتها ببلورة علاقاتها الدولية كيفما تجد مصلحتها فيها.

المطلب الرابع: الصراع (اللاتجانس) بين الوعي والسلوك

جميع الناس في هذا الزمن يعلمون انهم متساوون ولهم

الحقوق نفسها في الحياة ومواردها، وهي معرفة يقينية. إلا أن الناس منقسمين إلى طائفتين: 1- طبقة مضطهدة كادحة ومعدبة محتاجة، 2- طبقة مترفة لاهية مضطهدة. والانسان يساهم في هذا الانقسام الذي يرفضه وعيه، ولا يستطيع إلا أن يعاني من هذا التناقض المدرك من قبله ومن مشاركته فيه. (25)

يؤدي هذا الانقسام إلى نتيجة مفادها وجود معسكرين معاديين لبعضهما البعض: بعض العمال محرومون ومذلون ومدركون لظلم وضعهم، وغيرهم من الحكام والأغنياء، الذين يدركون أيضاً ظلم مركزهم لكنهم ما زالوا يدافعون عنه بأي ثمن ، وكلاهما مستعد لارتكاب أكبر الفظائع ضد بعضهم البعض من أجل تحقيق هدفهم: الخداع ،السرقه، التجسس، القتل، التفجيرات، الإعدام.(26) تتم تربية الناس على الخضوع لقوانين الدولة فحياة البشر بمجملها محددة بقوانين الدولة. هذه القوانين التي لا نقر بعدالتها ومع ذلك نخضع لها، هي قوانين بشرية يعوزها القصور والنقص وليست مثل الشريعة الالهية عادلة خالية من الظلم. ان القوانين ليست الا نتاج للكذب والجشع وصراع الاحزاب، ان الاذعان لقوانين الدولة لايمكنه ان يلبي متطلبات الطبيعة البشرية العاقلة.(27)

يقدم تولستوي العلاج في حالة التعارض مع القانون البشري والالهي بالعيش مثل الله ، يعني مخافة الله أكثر من مخافة قائد الشرطة، الحاكم، القيصر. لذلك، عندما يطلب ضابط الشرطة، الحاكم، القيصر شيئاً، يحرمه الله ، فلا طاعة لضابط الشرطة، ولا الحاكم، ولا القيصر، بل الطاعة لله. فالقانون مكتوب في قلب الانسان وضميره الذي يتفق مع العقل وقوانين الله.(28)

ينصح تولستوي الناس بعدم الاذعان لهذه القوانين واية قوانين اخرى تؤدي الى العنف والظلم واللاعادلة ويضع احتمالين نتيجة لعدم الانصياع لها:(29)

- الاحتمال الاول: إذا قام شخص بذلك، ورفض أن يكون

(25) ليف تولستوي، ملكوت الله في داخلكم، مصدر سبق ذكره، ص 99.

(26) Толстой. Лев, ,Неизбежный переворот. 1909. Там же.

(27) ليف تولستوي، ملكوت الله في داخلكم، مصدر سبق ذكره، ص 103.

(28) ТОЛСТОЙ Лев Николаевич, Полное собрание сочинений. Том 90. Произведения , дневники, письма 1835–1910, Государственное издательство художественной литературы, , доступно на портале: 1958:ws. 78. И с.127-131. www.tolstoy.ru.

(29) Толстой.
Лев, , Неизбежный
переворот. 1909. Там же.

جندياً، ورفض المحاكم، ورفض جوازات السفر، ورفض دفع الضرائب، ورفض الاعتراف بالسلطات، وشجب المغتصبين ومؤيديهم، فسوف يتعرض للاضطهاد. من المحتمل جداً أن يتم تعذيب مثل هذا الشخص في العصر الحديث ويأخذون ممتلكاته وينفونه ويحبسونه في السجن وربما يقتلونه.

- الاحتمال الثاني: يمكن أن يؤدي رفض الشخص المشاركة في العنف، بناءً على مطالب الحب بفتح أعين الآخرين وجذب الكثيرين إلى نفس الرفض، حتى لا تتمكن السلطات من استخدام العنف ضد الجميع. لأنه من المحتمل أيضاً أن الشخص الذي يفي بمتطلبات السلطات، سيعاني من أسباب أخرى بنفس الطريقة، وربما حتى أكثر من الشخص الذي يرفض الانصياع. ان عدم الشعور بالتناقض الذي يعيشه البشر بين ما يعتقدونه وبين ما يفعله، يعود لوجود التأثيرات التي تميل إلى حجب التباين، الذي يؤثر على الناس. تكمن الحاجة فقط للنظر إلى الحياة من وجهة نظر الدين المسيحي في معناه الحقيقي، دون أي تنازلات. والنظر إلى الوحشية والدمار الذي يجلبه العنف والحرب وما يتطلبه من الاستعدادات لها. لا يتظاهر رجال اليوم فقط بأنهم يكرهون الاضطهاد وعدم المساواة والتمييز الطبقي وكل نوع من القسوة تجاه الحيوانات وكذلك البشر. إنهم يكرهون كل هذا حقاً، لكنهم لا يعرفون كيف يضعون حداً له.

(30)

(30) Tolstoy, Leo. The Kingdom of God is within You. .op. cit. p.124.

إن الإصلاحيين الاجتماعيين، المحافظين والليبراليين والاشتراكيين والفوضويين، يقترحون تشكيل مجتمع عقلائي وأخلاقي. ما نوع المجتمع الأخلاقي والعقلائي الذي يمكن تشكيله من هذه العناصر؟ من جهة يوجد رجال يطلقون على أنفسهم اسم مسيحيين، ويقررون بمبادئ الحرية والمساواة والأخوة، وإلى جانب ذلك مستعدون، باسم الحرية، الخضوع لأكثر أشكال الانحطاط والعبودية؛ باسم المساواة، لقبول التقسيم

الطبقي إلى طبقات أعلى وأدنى إلى حلفاء وأعداء؛ وباسم الأخوة، على استعداد للقتل.⁽³¹⁾

إن التناقض بين الحياة والضمير والبؤس الناتج عن ذلك قد بلغ أقصى الحدود ولا يمكن أن يذهب إلى أبعد من ذلك. (31) Ibid.p.127.

لقد وصل تنظيم الدولة للحياة القائم على العنف، والذي كان

هدفه تأمين الرفاهية الشخصية والعائلية وحتى الاجتماعية، إلى نقطة التخلي عن نفس الأشياء التي تأسست من أجلها بفقدان الرفاهية التي كان عليها تأمينها.⁽³²⁾

لقد وصل تنظيم الدولة للحياة القائم على العنف، والذي كان هدفه تأمين الرفاهية الشخصية والعائلية وحتى الاجتماعية، إلى نقطة التخلي عن نفس الأشياء التي تأسست من أجلها بفقدان الرفاهية التي كان عليها تأمينها

استناداً لما تقدم اعلاه: نعتقد ان التناقض وعدم التجانس بين ما يعتقده الفرد وبين ما يفعله يعود الى السلطتين الداخلية للانسان التي تتحكم ببعض افعاله النابعة من(بيئته، تربيته، تدينه،

اعرافه، وقيمه الاخلاقية، احتياجاته) والى السلطة الخارجية (32) Ibid.p.128.

التي تقدم له رفاهيته وزهوه وارتفاعه عن الآخرين والمتمثلة بمقدار النفوذ والسيطرة على الآخر. فمدى تحكم السلطتين عند الانسان يحدده قوة أي منهما هي الحاكم على مخرجات افعاله. لا يقوم البشر على مقدار واحد من التدين والاقتداء بقيم المسيح وهو ما يسعى تولستوي الى غرسه في ارواح الناس، ولكن ما يحسب له انه يؤكد على خلاص البشرية من العنف والدمار والحرب والاقتتال بالاقتداء بقيم الدين وصوت الضمير الانساني العادل. وتبعية الناس للناس حين يرون ما يفعله الاول مفيد للثاني وما يفعله الثاني مفيد للثالث، وهو ما سيكشل عملية جذب الانصار لا حدود لها. واننا اذ نقيس هذا الامر على مقدار النتائج المترتبة على العملية السياسية القائمة في أي بلد فعندما ينجح تيار او حزب سياسي بتحقيق برنامجهم الحكومي او الانتخابي والايفاء بما وعد انصاره به وناخبيه فإنه سيشكل بؤرة لجذب التابعين والانصار والمؤيدين لدورات انتخابية

قادمة.

المطلب الخامس: اعلى قانون في حياة الناس هو الحب

يرى تولستوي ان الحب هو وسيلة اتصال بين الناس تمنحهم الخير، ولكنه أيضاً أعلى قانون في حياة الناس، وبالتالي فإن قانون الحب لا يتوافق مع العنف، وهو ما بشرت به المسيحية، وهو قانون يجب الوفاء به دائماً دون استثناء. لذا فإن المسيحية بمعناها الحقيقي، التي تعترف بالحب كقانون أساسي للحياة،

**يرى تولستوي ان الحب
هو وسيلة اتصال بين الناس
تمنحهم الخير**

أنكرت بشكل مباشر العنف الذي كان أساس نظام الحياة السابق بأكمله. لكن الأشخاص الذين قبلوا المسيحية، وعاشوا لقرون في هيكل دولة معقد قائم على العنف، قبلوها، جزئياً لم يفهموا كل معانيها وحاولوا إخفاءها عن أنفسهم وعن الآخرين، أخذوا من المسيحية فقط ما لا يتعارض مع النمط الراسخ لحياتهم. لقد أخفت تعاليم الكنيسة التي نشأت عن المسيحية البدائية ذلك، بعد أن جمعت بين تعاليم المسيح بالتعليم العبري القديم، تحت مختلف العقائد والمراسيم الغربية تماماً عن المسيحية.⁽³³⁾

(33) Толстой.
Лев, , Неизбежный
переворот. 1909. Там
же.

إن الوحدة المتأصلة في طبيعة الناس هي وحدة تقوم على المحبة وليس العنف والخوف. هذه الحقيقة تتجلى أكثر فأكثر في جميع أنحاء العالم، بحثاً عن تطبيقها في الحياة في المطالبة بالمساواة بين المواطنين في إلغاء العبودية، في الاعتراف بحقوق المرأة، في تعاليم الاشتراكية والشيوعية والفوضوية؛ تجلت هذه الحقيقة وتتجلى في أكثر النقابات والمؤتمرات العالمية المتنوعة، كذلك تتجلى في العديد من الطوائف بأديان المسيحية والمحمدية، التي تنكر قانون العنف بشكل مباشر وتحرر نفسها من الخضوع له.⁽³⁴⁾

(34) Там же.

انطلاقاً من قانون الحب كأعلى قانون لحياة الانسان ينصح تولستوي جميع الأشخاص عندما تشن الحرب أن يعودوا إلى رشدهم إن لم يكن في وقت تجنيدهم، فعلى الأقل في اللحظة

الأخيرة، عندما يتم توجيههم ضد العدو. سيتم تقليص القوات العسكرية وتدميرها فقط عندما يتوقف الناس عن الثقة بالحكومات ويسعون بأنفسهم للخلاص من الكوارث التي تزعجهم، وسوف يسعون إلى هذا الخلاص ليس في مجموعات معقدة ومهذبة من الدبلوماسيين، ولكن في الوفاء البسيط بالواجب لكل شخص. عن طريق جميع التعاليم الدينية وفي قلب كل شخص، القانون الذي (يأمر بك بفعل لأخيك ما تحبه لنفسك).⁽³⁵⁾

يجب ان يضع الناس الحب بدلاً من العنف كقانون لحياتهم، لأنه قانون واجب على الجميع اتباعه، فهو القانون الذي يوحدهم، اما من يتمسك بالعنف فأنهم سيعذبون ويحرمون من كل شيء وسيكونون عبيدا لأناس يعيشون بالعنف لانهم اتخذوه طريقاً لحياتهم.⁽³⁶⁾

وفقاً لما ورد انفا: يعمل الحب على تفتيح بذرات الخير في النفس الانسانية، التي تعود بالنفع على الناس والتعاون فيما بينهم. ويؤدي ذلك الى استكمال ما بناه الاولون والمضي قدماً نحو عمليات التطور المطلوبة من الانسان السير نحوها. اما العنف والاقتيال فإنه يوقد مشاعر الكره والحقد والبغضاء التي تؤدي الى القضاء على حياة الانسان التي بجلها الله في جميع شرائعه السماوية وقوانينه الالهية ولم يسمح لاحد بأن ينتهكها او ينهاها مهما كانت المبررات او الاسباب.

المطلب السادس: ثورة في الوعي

يشير تولستوي الى اعتياد الناس على وجود فئة منهم تقوم بترتيب حياة الآخرين. وهو نتيجة الاعتراف بشرعية سلطة بعض الناس على الآخرين وحقهم بذلك. الجميع يلوم بعضهم البعض، البعض يلوم أولئك الذين، في رأيهم مضطرون إلى ترتيب حياتهم وعدم ترتيبها بالطريقة التي يرونها مناسبة. الآخرون ، الذين يرتبون حياة شخص آخر، غير راضين عن

(35) ТОЛСТОЙ Лев Николаевич,. Полное собрание сочинений. Том 90. Произведения, дневники, письма 1835–1910. Там же.с. 64-65.

(36) Толстой. Лев, , Неизбежный переворот.1909. Там же.

يعمل الحب على تفتيح بذرات الخير في النفس الانسانية، التي تعود بالنفع على الناس والتعاون فيما بينهم

أولئك الذين يرتبون حياتهم. ويفكر كل من هؤلاء وغيرهم في أكثر الأسئلة تعقيداً وصعوبة، والسؤال الأكثر ظاهرياً هو: ماذا أفعل من أجل تغيير بنية الحياة ، التي أعتبرها سيئة وفي أي شيء ، أو لا أستطيع المشاركة فيها.⁽³⁷⁾

(37) Там же.

يعبر تولستوي عن هذا التغيير بالثورة في الوعي بحيث انه كيف يتم استبدال حياة العنف بحياة السلام والمحبة؟ فالجميع سأل كيف يجب ترتيب حياة الناس، أي ماذا نفعل بالآخرين؟، لكن لا أحد يسأل ماذا أفعل بنفسني؟ ان الاعتراف بشرعية حكم بعض الناس على الآخرين، منعت الناس من الانتقال من حياة العنف إلى حياة السلام والحب ومن ثم ترتيب حياة الآخرين وفقاً للسلطة المعترف بها. فبمجرد أن يحرر الناس أنفسهم من هذه الخرافة المعتادة (سلطة بعض على بعض الآخر والقبول بها)، سيتضح للجميع على الفور أن حياة أي مجموعة من الناس يتم ترتيبها فقط بالطريقة التي يرتب بها كل شخص حياته لنفسه.⁽³⁸⁾

(38) Там же.

(39) Львовна
Гельфонд Мария,
Николаевна Мищук
Оксана, and Юрьевна
Мирошина Евгения..
"Программа ненасилия
Л. Н. Толстого:
моральная утопия или
социальная стратегия
успеха?". Там же.с.109.

فالغاية لدى تولستوي من تحفيز العمل على اجراء ثورة في الوعي ينعكس على احداث التغيير الجذري في الأسس الروحية للحياة ، وتحويل الأعداء إلى أصدقاء، وليس على تحفيز العمل لثورة اجتماعية تكون احد مظاهر العنف التي تكتفي بتغيير الوضع الخارجي للناس.⁽³⁹⁾

(40) Владимирович
Прокопчук Юрий..
«Л. Н. ТОЛСТОЙ
И П. П. НИКОЛАЕВ
О СОЦИАЛЬНО-
ПОЛИТИЧЕСКИХ
ПРОБЛЕМАХ XX
ВЕКА» Филология и
культура, no. 2 (64):
2021.с.172-174.

قدم تولستوي حلاً للمشاكل الاجتماعية والسياسية للوجود الانساني في ضوء التحول الروحي للبشرية وهو بديل جيد ليس فقط للثورات التي انتقدها، ولكن أيضاً لأي تغييرات سياسية يتم إجراؤها بدون تغييرات داخلية في أذهان الناس. فالغاية لديه حصول ثورة في الوعي، ثورة روحية، بغية ادراك الإنسان جوهره الحقيقي.⁽⁴⁰⁾

ربط تولستوي وفق مرتكزه الفكري السياسي عن ثورة الوعي بالسلطة الممنوحة للآخر من قبل الفرد على نفسه وارتكاب العنف من خلال الاعتراف له بها. اذ ينبغي ان

يحرر الانسان نفسه من حق اعطاء هذه السلطة للآخر، وان يعمل على مراجعة محتوى روحه الداخلية ويرتب حياته وفقاً لها وليس الاكتفاء بالمظاهر الخارجية كالثورات الاجتماعية التي شجبتها بشدة وبين عدم جدواها لعدم خلوها من اعمال العنف والقوة.

المطلب السابع: تعزيز الوعي الديني

يكمن الحل للعنف والشر في فكر تولستوي في تعزيز الوعي الديني لدى الناس، حيث يخبرنا أن مثل هذا التعزيز يجب أن يحدث في داخلنا وفي نفسنا أولاً وقبل كل شيء ، وهذا التعزيز للوعي الديني فينا هو أقوى وسيلة لتقويته في الآخرين. اذ كلما زاد اعتقاد الناس أنه يمكن أن يقودهم شيء خارجي، يتصرف من تلقاء نفسه، لتغيير حياتهم وتحسينها، كلما كان هذا التغيير والتحسين أكثر صعوبة. (41) ان العمل الرئيسي للحياة هو «كمال الروح» فالشخص لا ينبغي أن يعتمد على الاحتياجات المادية والرغبة في اكتساب الشهرة ، ولكن يجب أن يسعى جاهداً للعيش وفقاً للضمير والأخلاق ، ليجب جاره والآخرين. (42)

يطرح تولستوي السؤال التالي وفقاً للحل الذي بينه انفا بـ : «ماذا يجب أن أفعل أنا» ، حيث تتجسد الإجابة على السؤال حول ما يجب أن يفعله الشخص الذي يفرض بنية الحياة القائمة ويريد تغييرها وتحسينها بالاتي: (43)

- 1- توقف عن ممارسة العنف المباشر بنفسك واستعد لذلك.
- 2- عدم المشاركة في أي نوع من العنف الذي يقوم به الآخرون، وكذلك في الاستعدادات للعنف.
- 3- لا توافق على أي عنف.

نتيجة لذلك، سوف ينشأ حتماً اتحاد طوعي للناس، لن يحتاج أعضاؤه متحدون بالتزامهم بالمثل الأعلى للحب والكمال

**ربط تولستوي وفق مركزه
الفكري السياسي عن ثورة
الوعي بالسلطة الممنوحة
للاخر من قبل الفرد على نفسه
وارتكاب العنف من خلال
الاعتراف له بها**

(41) Толстой. Лев, , Неизбежный переворот. 1909. Там же.

(42) Александрович Дзевенис Анатолий. "Лев Толстой актуален всегда" . Там же.с.70.

(43) Толстой. Лев, , Неизбежный переворот. 1909. Там же.

الكونيين، إلى استخدام الوسائل القمعية للانضباط الاجتماعي من قبل السلطات. بمرور الوقت يجب أن تصبح حقيقة عدم المقاومة التي تبدو غير قابلة للتحقيق للإنسانية المعاصرة، عادة موجودة في التلقائية السلوكية، وسوف يخجل الناس من مشاركتهم في العنف.⁽⁴⁴⁾

(44) Львовна

Гельфонд Мария,

Николаевна Мищук

Оксана, and Юрьевна

Мирошина Евгения..

“Программа ненасилия

Л. Н. Толстого:

моральная утопия или

социальная стратегия

успеха?”. Там же.с.112.

في ضوء الوعي الديني وإيقاظه في ذات النفس الفردية سيعي الانسان مدى التنافر ما بين الدين والعنف الذي يسعى القادة والحكام الى جر الناس اليه عن طريق الامتثال لأوامرهم سواء في ضوء الخدمة العسكرية او من خلال اداء الواجبات الاخرى التي تكلفه بها الدولة وفقاً للمركز والمنصب الذي يشغله. فحين يمتنع كل فرد من الامتثال لكل امر يحض على العنف والقتال يتشكل حينها اتحاداً طوعياً بين الناس يدعو الى الالفة والتعاون ونبذ العداوة والاحترا ب. عندها تصبح عقيدة عدم المقاومة عرف او قانون ذاتي تسعى الاكثري ة الى التزامه والنفور من تجنبه او تحاشيه.

المطلب الثامن: الحاجة لوجود تنظيم الدولة والحكومة

في هذا الصدد يتحدث تولستوي عن نفسه قائلاً: ان الرجل الذي أتقن نظرية الحياة المسيحية، يعلم فقط أنه من ناحية، لم تعد الحكومة ضرورية بالنسبة له، ومن ناحية أخرى، لم يعد بإمكانه تنفيذ الإجراءات الضرورية لوجود الحكومة. منوهاً الى ان كل فرد يستقر لنفسه ما يحتاجه لحياته، فتولستوي لا يستطيع إثبات حاجة أو ضرر الحكومات بشكل عام. هو يعلم فقط ما يحتاجه وما لا يحتاجه، وما يمكنه فعله وما لا يمكنه. يعلم انه ليس بحاجة إلى فصل نفسه عن الدول الأخرى ، وبالتالي لا يمكنه الاعتراف بأنتمائه حصرياً إلى أي دولة أو أمة ، أو أنه يكن الولاء لأي حكومة. يعلم أنه ليس بحاجة إلى إدارة أو محاكم عدل قائمة على القوة ، وبالتالي لا يمكنه المشاركة في أي منها. يعلم بأنه ليس مضطراً لمهاجمة الدول الأخرى وذبحها أو الدفاع عن

نفسه منها بالسلاح ، ومن ثم لا يمكنه المشاركة في الحروب أو الاستعدادات للحروب. فهذه ليست إرادته الشخصية، ولكن لأن هذه هي إرادة من أرسله إلى الحياة، وأعطاه قانوناً غير قابل للشك لسلوكه خلال الحياة.⁽⁴⁵⁾

(45) Tolstoy, Leo. .The Kingdom of God is within You. .op. cit. p.148.

أن السلطة الحكومية ستختفي عندما يصبح من هم في السلطة مسيحيين لدرجة أنهم يتخلون عن السلطة من تلقاء أنفسهم، ولا يوجد رجال على استعداد لتحل محلهم، وحتى إذا كانت هذه العملية جارية بالفعل ، « يقولون أبطال النظام الحالي ، «متى سيحدث ذلك؟ إذا، بعد ثمانية عشر مائة عام ، لا يزال هناك الكثير من المتحمسين للسلطة، وعدد قليل جداً من المتحمسين للطاعة، فلا يبدو أن هناك احتمالاً لحدوثها قريباً أو في الواقع حدوثها على الإطلاق. «حتى لو كان هناك، كما كان الحال دائماً، بعض الرجال الذين يفضلون التخلي عن السلطة على الاستمتاع بها، فإن كتلة الرجال الاحتياطييين، الذين يفضلون السيادة على الخضوع كبيرة جداً.⁽⁴⁶⁾

(46) Ibid.p.153.

طالما يوجد بين الناس المسيحيين اسماً رجالاً أشرار غير مسيحيين ، والذين من أجل إشباع رغباتهم هم على استعداد لإيذاء الآخرين ، فإن قمع سلطة الحكومة ، بعيداً عن كونه نعمة للآخرين ، لن يؤدي إلا إلى زيادة بؤسهم. ولذلك فمن المستحيل وغير المربح التفكير في الوقت الحاضر بأي شيء غير عملي مثل قمع السلطة. يجب أن نحاول فقط أن نضع السلطة في أيدي أمينة.⁽⁴⁷⁾

(47) Ibid.p.p.148-154.

انطلاقاً مما تحدث به تولستوي عن نفسه بمدى الحاجة لتنظيم الدولة والحكومة، ميز بين فئتين من الناس الفئة التي لا تحتاج للتنظيم المذكور لأنها قائمة على أسس الديانة المسيحية التي رسمت كيفية أداء واجباتها في الحياة وسلوكها ومدى تخليها عن السلطة وعدم الحاجة لها. هؤلاء الافراد واولهم تولستوي لا ينتمي الى دولة بعينها فهو مواطن عالمي ينتمي

الى جنس الانسانية بمجملها. وفئة اخرى لم ترتقي الى مستوى الحياة المسيحية بعد تحتاج الى السلطة والى تنظيم الدولة والحكومة تنقسم الى مجموعتين مجموعة تأتمر بأمرتها، تطيع وتقبل بالسيادة عليها، والاخرى تفضل السيادة وعدم التخلي عن السلطة المتحمسين لها. كما وانه يستبعد ان تتحد البشرية لتكون بمجموعها ضمن الفئة الاولى وعلى ذلك يحدد الحاجة لوجود السلطة والدولة، نظراً لوجود الاشرار الذين يحاولون ايذاء الآخرين لاشباع رغباتهم.

المطلب التاسع: التخلص من الوطنية والدعوة للعالمية

كتب تولستوي من موسكو في ٥ يناير ١٨٩٦م بتوضيح موقفه من الوطن وحب له مشيراً الى انه لكي تتخلص الشعوب من الحرب الناتجة من قرارات رؤساء الدول فلا بد ان تتخلص من عقيدة الوطنية ، لان الرغبة في احتلال اراض جديدة او الاحتفاظ بما تم الحصول عليه امر مسلم به من قبل رئيس كل دولة وهو ما يعني استمرار الحروب وعدم التخلص منها. فالوطنية لها وظيفتان منها توحيد الناس في دول ، ومنها تدمير هذه الدول نفسها عن الطريق الشروع بخوض حروب التوسع. الوطنية لا تتوافق مع تعاليم المسيح ، بمعناها المثالي ، وأيضاً مع أدنى متطلبات أخلاق المجتمع المسيحي.⁽⁴⁸⁾

إن الوطنية في فكر تولستوي من مخلفات العصر البربري، الذي يجب القضاء عليه بكل الوسائل: بالوعظ، بالإقناع، بالازدراء، بالسخرية. ويضع البديل عنها بالمسيحية وتعاليمها عن الحياة الاخوية التي علمها المسيح لهم، فليس فقط من المستحيل التعاطف مع

قوة الوطن، ولكن يجب أن نبتهج بضغفه ونساهم فيه. يجب أن نبتهج عندما تنفصل بولندا ومنطقة أوستي وفنلندا وأرمينيا عن روسيا ؛ ويجب على الإنجليزي أن يفرح بنفس الشيء فيما

(48) ТОЛСТОЙ Лев Николаевич,. Полное собрание сочинений. Том 90. Произведения, дневники, письма 1835–1910. Там же.с.48.

إن الوطنية في فكر تولستوي من مخلفات العصر البربري، الذي يجب القضاء عليه بكل الوسائل: بالوعظ، بالإقناع، بالازدراء، بالسخرية

يتعلق بإيرلندا وأستراليا والهند والمستعمرات الأخرى وأن يساهم في ذلك ، لأنه كلما كبرت الدولة، كلما زادت شرًا وقسوة وطنيتها، وكلما ازدادت معاناة قوتها.(49)

(49) Там же. с.51.

يتحد انكاره للوطنية مع انكاره للرغبة في سلطة الدولة، والطبقة الحاكمة، والطائفة الدينية، والأغلبية العرقية. ومعارضته للتوسع الذي يكمن في جذور معظم إنجازات الحضارة والثقافة.(50) فالوطنية لا يمكن أن تكون أكثر من تفضيل المرء لبلده أو شعبه أو دولته على البلدان والشعوب والدول الأخرى.(51)

(50) Green, Martin. The Origins of Nonviolence. University Park and London: Pennsylvania State University Press. 1986.p.9.

تجسدت فكرته عن الوطنية بالغائها لكونها السبب في سعي حكام الدول وقادتها الى التوسع على حساب الدول والشعوب الأخرى وما يسببه من قتل وسفك للدماء. دعا في ضوء فكرته هذه للاتحاد مع الناس عبر ما يجسده كل واحد منهم بإنسانيتها وليس بانتمائه لدولة بعينها أو قومية أو عرق لتأكيد على توحيد الناس بتعاليم الدين المسيحي فقط. نرى في دعوته هذه مثالية مطلقة لان الدول تكونت على اساس الامم والاعراق والقوميات، الا ان دعوته قد تتحقق من نطاق شعور الناس بالانتماء الى بعضهم البعض بغض النظر عن انتمائهم الى دولة ما ، واننا اذ نجد ان ذلك قد تحقق جزئياً عن طريق وسائل الاعلام والتواصل والاجتماعي الالكتروني التي استطاعت ان تصل الى كل بلد والى كل منزل بالتعرف على اوضاع الدول وشؤون الناس واحوالهم والكوارث التي تحل بهم مما يشكل رأي عام يستطيع ان يشكل وسيلة ضغط على الحكومات وقادة الدول.

(51) ТОЛСТОЙ Лев Николаевич,. Полное собрание сочинений. Том 90. Произведения, дневники, письма 1835–1910. Там же. С.167.

**ميز تولستوي بين نوعين من
النضال ضد السلطة القائمة
الاول: ثوري عنيف والثاني:
تدريجي**

المطلب العاشر: آلية تغيير النظام السياسي

ميز تولستوي بين نوعين من النضال ضد السلطة القائمة
الاول: ثوري عنيف والثاني: تدريجي، وهو لا يؤيد كلاهما

لأثبت فشلهما عبر التاريخ معتمداً في رأيه على الخبرة والتجربة والمنطق السليم. فما يأتي بالعنف يذهب بالعنف، وهو طريق غير أخلاقي وغير منطقي وضار.⁽⁵²⁾ يطرح تولستوي سؤالاً عند انتقال السلطة داخل الدولة من شخصية إلى أخرى: هل تنتقل السلطة دائماً من شخص أسوأ إلى شخص أفضل؟ عندما تمت الإطاحة بـ لويس السادس عشر، ووصل روبسبير إلى السلطة، وبعد ذلك نابليون - من الذي حكم في ذلك الوقت، رجل أفضل أم أسوأ؟⁽⁵³⁾

(53) Tolstoy, Leo. .The Kingdom of God is with-in You. .op. cit. p.149.

عارض تولستوي الأعمال الثورية لأنه رأى استحالة فصل الثورة عن العنف الثوري، فموقفه سلبي تجاه الثورة كطريقة لتغيير العلاقات الاجتماعية والسياسية.⁽⁵⁴⁾

(54) Беляева А.А...
"Философия ненасилия
Л. Н. Толстого и теория
русск классическог
анархизма". Там же. с.
114.

وأما الطريق التدريجي للتغيير فإنه أقل منطقية وغير مؤثر، بسبب بقاء من هم في السلطة، الذين سيسعون إلى المحافظة على مكتسباتها، ويسعملون على تجهيل الشعب وعدم تنويره بالحقائق. فضلاً عن منح النظام السلطة الأخلاقية بدخول الشرفاء والمتنورين والأمناء من الناس فيه، حيث لن يحصل عليها من دون مشاركتهم. فالشرفاء والمتنورين من الناس سيتراجعون شيئاً فشيئاً عن مطالب الضمير في ضوء والتنازلات التي سيقدمونها بغية الوصول إلى أهداف حميدة وفي النهاية سيصبحون جزءاً من النظام القائم.⁽⁵⁵⁾

(55) ليف تولستوي ،
اعترافات تولستوي، مصدر
سبق ذكره، ص ص 59-61.

**يضع تولستوي الحل في
الاستقلال الكامل عن النظام
السياسي وفعل ما نراه خيراً
ونافعاً، بمعنى الكفاح من أجل
حقوق الإنسان عامة**

يضع تولستوي الحل في الاستقلال الكامل عن النظام السياسي وفعل ما نراه خيراً ونافعاً، بمعنى الكفاح من أجل حقوق الإنسان عامة،

وليس لأجل حقوق عضوية البرلمان أو حقوق الحكم الذاتي أو حقوق الأشغال العامة أو مختلف اللجان والخضوع للتسويات. ولكن دون أي تسوية واحدة أو خضوع بنفس المقدار الذي لا يمكن فيه التنازل أو التسوية مع القيم الإنسانية والأخلاقية.

فالاشتراك في عضوية البرلمان او الحكم الذاتي يضعنا في محل التخلي عن بعض الحقوق كبشر الذي لا يدعم القضية ولا يمكننا من الاحتفاظ بأي حق من حقوقنا المحفوظة. فالذي يستطيع ان يتخلى عن أي شيء، هو الذي يستطيع ان يقاوم النظام ويكبح قوته ولن يتراجع امام أي ظرف، والاساس المتين الذي لابد من الاستناد عليه هو الكرامة الانسانية. (56)

(56) المصدر نفسه، ص 62-64.

يعترف تولستوي بأن الطريق الثالث الذي اعرب عنه اعلاه لم يتم تجربته او اختباره وهو يعلن نجاحه الفعلي عندما يقوم كافة المتتورين والشرفاء بمحاولة ان يصبحوا افضل في ضوء تجنب الكذب والمحافظة على الامانة بدوافع محبوبة ومفهومة لدى الجميع. يقر بضعف هذا الطرق ولكنه الطريق الوحيد الذي يحفظ الانسانية، العيش وفق الضمير ممكن عندما ينبع من قناعة دينية واضحة وقوية ومن ثم ستكون النتائج جيدة في ظروف الحياة الخارجية. (57)

(57) المصدر نفسه، ص 70-71.

نتفق مع تولستوي عندما يدين طريق العنف والقوة لتغيير النظام السياسي، للأسباب التي بينها اعلاه، ونضع طريقاً ثالثاً مرفوض الى جانب الطرق التي رفضها تولستوي، يتجسد بطريق الاحتجاجات والاعتصامات ولا سيما الفوضوية منها لأنها لا تخلو من اعمال الشغب والعنف ايضاً، كما انها لا تجلب الغرض من اقامتها. ونضع بدلاً عنه طريقاً آخر للتغيير يجمع ما بين الطريق التدريجي وما بين العمل في بيئة النظام السياسي وليس الاستقلال عنه، بتحكيم الضمير الانساني العادل وقيم الدين الاسلامي وروحه السمحاء بإقامة العدل ومنح الحقوق لمستحقيها ورفض الظلم. اذ ان ذلك كله لا يكون الا من خلال العمل في ظل الدولة التي تجمع الناس. لإقراره بعدم جدوى قمع السلطة لوجود الاشرار بين الاخيار والصالحين. ولكن من دون تسلّم أي منصب ولاسيما رفيع المستوى لان شأغله سيكون محل للضغط من اجل تقديم التسويات والتنازلات فضلاً

عن جلب السلطة للمفسدة. الا اذا كان المنصب الذي سيشغله الفرد وفق الكفاءة وليس بطريق المحسوبية والمحابة وان يكون العمل وفق المبادئ والقيم اعلاه.
المطلب الحادي عشر: دور الرأي العام المسيحي في قمع العنف

يؤدي الرأي العام المسيحي دوراً كبيراً في قمع العنف من خلال القوة الروحية التي

يؤدي الرأي العام المسيحي دوراً كبيراً في قمع العنف من خلال القوة الروحية التي يمتلكها، ذلك ان الامم والافراد لم يتم اخضاعهم بالقوة ولكن فقط عن طريق الرأي العام المسيحي

انعكاساً لقوته. ان نشر المعيار المسيحي كفيل بإخضاع الامم المتوحشة والرجال المتوحشين.⁽⁵⁸⁾ لأن القوة لا تحمي البشرية، لكنها بالمقابل تحرمها من الوسيلة الوحيدة الممكنة لحماية نفسها حقاً، أي تأسيس ونشر رأي عام مسيحي. من خلال قمع العنف فقط سيتوقف إفساد الرأي العام المسيحي، ويتم تمكينه من الانتشار دون عوائق، وعندها سيوجه الرجال جهودهم في الاتجاه الروحي الذي يمكنهم من خلاله فقط التقدم.⁽⁵⁹⁾

يمكننا الربط بين الرأي العام المسيحي الذي يدعو اليه تولستوي لإيقاف العنف والحرب بين الدول و الشعوب، وبين حرية الارادة التي تميزت لديه بنوعين من الافعال: فعل رهن ارادة الفرد الواحد، والبعض الاخر مستقل عن ارادته. فالشعور بالحرية لا يكمن الا عند الافعال غير المرتبطة بإرادة الآخرين. فأعمالنا المرتبطة بالآخرين تقلل نصيبنا من الحرية، منتقداً دعاة النظرية المادية التي اقنعت الناس بأنهم احرار في افعالهم كلها.⁽⁶⁰⁾

(60) ليف تولستوي ،،
الحرب والسلام (1)، مصدر
سبق ذكره، ص ص18-19.

لا يتفق الشخص مع نفسه إلا عندما تندمج إرادته الحرة مع متطلبات القانون الأخلاقي، ويطيعها بشكل مباشر وواعي. يرى تولستوي أعلى فائدة في «الاقتران» المتناغم للحرية الداخلية الشخصية مع الضرورة الموضوعية التي تعمل في العالم.

يقيم تولستوي بشكل سلبي الوجود الفردي للشخص الذي يتوق إلى الرفاهية والمتعة، والذي تخدم إرادته المشاعر الأنانية. يعتقد تولستوي أن الطريقة الوحيدة «لإنقاذ» روح الشخص هي الاستعداد لخدمة «الجميع» بوعي.⁽⁶¹⁾

وبالتالي فإن عمل الحرب والعنف يرتبط بحياة الآخرين وليس عملاً ينبع من إرادة أحد الرؤساء أو الحكام أو المنظمات ومن ثم لا بد من تحشيد الرأي العام وتأليبهم ضد هذه القرارات والأفعال. فتولستوي وفقاً لذلك ينطلق من الفرد نحو الجماعة ويضع إرادته بما يتطلبه لخدمة المجموع للترفع عن الانانية الفردية لخدمة الإنسانية بمجملها.

تعرضت أعمال تولستوي وكتاباته عن اللاعنف إلى النقد والاعتراض على مبدأها لعد دعوته لها فكرة طوباوية ولا يمكن وضعها موضع التنفيذ ليس فقط على نطاق المجتمع، ولكن أيضاً في الحياة الشخصية.⁽⁶²⁾ حيث كان من بين النقاد الأوائل في أواخر القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين (ف. سولوفيوف)، (ن. فيدوروف)، (ف. روزانوف)، (د. خوميakov)، (ن. بيردييف)، (ف. لينين)، (أ. إيلين).⁽⁶³⁾

فأفكار تولستوي حاولت خلق مدينة فاضلة أخلاقية على الأرض، وهو حلم مقطوع عن الحقائق الاجتماعية والتاريخية، ويمكن الوصول إليه فقط من قبل «جماعة الملائكة».⁽⁶⁴⁾ على الرغم من الانتقادات الموجهة له، يدعونا الفكر السلمي لتولستوي إلى إعادة النظر في افتراضاتنا حول كيفية تقريب العدالة والأخلاق. سواء

(61) Абрамович Лукацкий Михаил. "Л. Н. Толстой о культуре, обществе и власти" Электронное научное издание Альманах Пространство и Время, vol. 7, no: 2014.с. 3-4.

(62) Римский В.П., Резник С.В., and Мюльгаупт К.Е.. "Учение Л. Н. Толстого о насилии и ненасилии в зеркале русских революций". Наука. Искусство. Культура, no. 3 (15): 2017.с.79.

(63) Римский Виктор Павлович, Римская Ольга Николаевна, and Мюльгаупт Константин Евгеньевич.. "Логические и философские смыслы полемики И. А. Ильина и Л. Н. Толстого" Известия Тульского государственного университета. Гуманитарные науки, no. 4: 2018. C.112.

على الرغم من الانتقادات الموجهة له، يدعونا الفكر السلمي لتولستوي إلى إعادة النظر في افتراضاتنا حول كيفية تقريب العدالة والأخلاق

(64) Львовна Гельфонд Мария, Николаевна Мищук Оксана, and Юрьевна Мирошина Евгения.. "Программа ненасилия Л. Н. Толстого: моральная утопия или социальная стратегия успеха?". Там же.с. 108.

بشكل فردي أو جماعي، نفترض بسهولة أن الإكراه والانتقام والعقاب هي طرق مناسبة، ولكن هذه الأساليب كثيراً ما تفشل في منع المزيد من العنف⁽⁶⁵⁾ تشير العناوين الرئيسية في فكر تولستوي، الى الرسائل الأخلاقية للقرن الحادي والعشرين وما بعده. هذه المبادئ الأخلاقية لها آثار سياسية واجتماعية هائلة تتحدى ضمائرنا. بالتأكيد نحن نستحق التحدي، فعلى الرغم من أننا تجاهلنا رسائل العديد من الفلاسفة والحكماء على مر القرون، لكننا مسؤولون عن البشرية، في الحاضر والمستقبل، لهذا السبب يجب ألا نتجاهل وصية تولستوي بعد الآن.⁽⁶⁶⁾

الخاتمة والاستنتاجات:

تعد فكرة اللاعنف من الافكار الخالدة في حياة المجتمعات والدول لمكونها الايجابي الذي يحث على البناء والتعاون والمضي قدماً بحياة انسانية خيرة تسعى لحب الجميع ونبذ الاحتراب والاقتيال الذي حرّمته جميع الشرائع السماوية ونفرتة الروح الانسانية. وعلى ذلك نستنتج مجموعة من الخلاصات عن اللاعنف في فكر تولستوي السياسي وكما يأتي:

1- جعل الدين بقيمه ومعاييره الاخلاقية حاكماً على ضمير الانسان وافعاله تجاه نفسه وتجاه الآخرين، بتأكيد تولستوي على الاهداف الموحدة للاديان، مع اعطاء الدين المسيحي مكانة متميزة على غيره. وبذلك يؤكد اختلافه عن متبنيات الحضار الغربية التي اشارت الى كون الدين معتقد يخضع لحرية الانسان الشخصية فقط.

2- ايقاظ العقل في روح الفرد وتغليبه على الهوى والبغض والكره والعداء تجاه الافراد والشعوب.

3- نقل الصراع من البيئة الخارجية للانسان الى داخل النفس الانسانية بين الروح الشريرة والخيرة فيه والمحاولة بتغليب روح الخير والمحبة على الاخرى.

4- اعادة تشكيل بنية الفرد الداخلية وارجاعها الى الاساس الذي

(65) Christoyannopoulos, Alexandre. "Tolstoy's Christian anarcho-pacifism: an exposition" 2020..p.83.

(66) Bartolf, Christian., "Tolstoy and Cosmopolitanism." Beyond Cosmopolitanism. Palgrave Macmillan, Singapore 2018 : p.123.

خلق من اجله. المتجسد بالتعاون والتسامح مع بني جنسه وقد حفز ذلك مطالبة تولستوي بالسلوك السلبي تجاه الدول ومؤسساتها التي تطلب من شعوبها الالتزام بالواجبات المناطة بهم التي تتخذ العنف سبيلاً لادائها ومن ثم التمتع بالحقوق، كالخدمة العسكرية والانتساب في سلك الشرطة وغيرها.

5- محاولة التبشير بالدين المسيحي على حساب الاديان الاخرى ولا سيما الدين الاسلامي لتأكيد تولستوي على ان اللاعنف تعليم اختصت به المسيحية وان خلاص الانسانية لا يكون الا عن طريق الاقتداء بمواعظ المسيح التي ارتبطت باللاعنف وعدم مقاومة الشر بالقوة.

6- اللاعقلانية التي اعتمدها قادة الدول في تسوية الخلافات مع الدول الاخرى ومع ابناء شعوبهم عن طريق مقاومة الشر بالقوة ومواجهة العنف باللاعنف.

7- تأكيد تولستوي على ان العنف والاقتتال ومواجهة الاخرين بالحروب انما هو من سمات الحياة الاولى للانسان المشبهة لديه بحياة الحيوانات وان اتخاذ اللاعنف سبيلاً للتعامل انما يعبر عن قبول تطور البشرية والمضي قدماً نحو الامام، وهو سبيل لا بد منه للانسانية، مهما طال امد الوصول اليه بعده حقيقة لا يجب انكارها، لانه هدف الحياة واستمرارها.

8- رفض القوانين غير العادلة والتي تحض على العنف والاقتتال، وعدم الخضوع اللاواعي لها، فضلاً عن القوانين التي تعزز عدم المساواة بين الطبقات، بين من يحكمون وبين من يعملون.

9- الحب يوحد الناس، وهو أعلى قانون للانسانية يجب اعلاؤه فوق قانون العنف والقوة والخوف.

10- يبدأ التغيير السياسي من النفس الانسانية اولاً بتغيير طريقة التفكير وليس العمل على تغيير المظاهر الخارجية والقيام بالثورات الاجتماعية التي ادانها، لان الهدف هو ثورة في الوعي تعمل على تغيير آلية الفعل والبناء في المجتمع، وتحرير الروح من سلطة الاخر عليها وجعل السلطة لله في تنفيذ ما يراه خيراً.

11- على الرغم من شجبه ونفده للسلطة ولقوانين الدولة التي تحض على العنف والاقتتال، وتحريض الناس على عدم الطاعة لها، الا انه يقر ويعترف بالحاجة الى الحكومة والدولة بسبب وجود الناس الاشرار ووجود الذين لم يتحولوا الى المسيحية الحقيقية، اذ سيؤدي قمع سلطة الحكومة للسبب اعلاه الى زيادة شقاء

الناس ودمارهم.

12- يخاطب تولستوي الشعوب بضرورة التخلص من الوطنية لأنها تعني الولاء لدولة على أخرى ويجعل حكام الدول مستعدة لخوض الحروب من أجل التوسع. لا تخلو فكرته هذه من المثالية نظراً إلى طريقة بناء الدول وتكوينها. إلا أن فكرته يحسب لها بأمكانية تعزيز ذلك عن طريق تعاضد الشعوب ووحدتها الانسانية في رفض الحروب والاقتتال.

13- موقف تولستوي السلبي من المشاركة في الحياة السياسية وهو يدعو إلى الاستقلال عن النظام السياسي برمته، لأنه يضع المشارك فيه محل للتسوية والتنازل عن الحقوق الانسانية التي هي أعلى من الحقوق السياسية التي يسعى المشاركون للحصول عليها.

14- لا نؤيد ما ذهب إليه تولستوي بشأن عدم المشاركة في النظام السياسي، لاحتوائه على مفاصل عديدة لا تقتصر على السياسية فقط فبإمكان المشارك فيه بطرق واليات معينة من الدفاع عن حقوق الانسان والكرامة الانسانية وافادة المجتمع داخل الدولة بطريقة العمل التي يسعى إلى تحقيقها، وخصوصاً عندما تركز على الكفاءة ونبذ المحاباة والمحسوبية.

15- نقدت افكار تولستوي لتصنيفها ضمن الافكار الخيالية الخارجة عن الواقع، إلا أن الذي يحسب له منذ زمانه ولغاية زماننا تأكيده على اهم قيمة في حياة البشرية بعدم مقابلة الآخر بالعنف وتمجيد حياة الانسان التي بجلها الله واعزها في جميع قوانينه.

16- بعد بيان محاور البحث الاحدى عشر والتوصل للخاتمة والاستنتاجات نستطيع الاجابة عن مشكلة البحث والتحقق من صحة الفرضية بما يأتي: بحث تولستوي في اللاعنف عن مجموعة من العلاقات:

العلاقة الاولى: بين الانسان وخالقه وهي علاقة طاعة واذعان وخضوع لقوانين الله وشرائعه. **علاقة ذاتية بين الانسان والله.**

العلاقة الثانية: بين الانسان ونفسه بنقل الصراع إلى روحه ليعالج الشر الموجود فيها بدلاً من توجيهه للخارج تجاه الآخر، والمجتمع ووضع الدين بقيمه ومعاييرهِ فاصلاً لضبط العلاقات. ونطلق عليها علاقة تسامي وتصالح الانسان مع روحه. **علاقة ذاتية بين الانسان ونفسه.**

العلاقة الثالثة: بين الانسان والمجتمع من خلال بث روح المحبة والتعاون والالفة وعدم مقابلة الشر بالشر ، ونطلق عليها علاقة تعاضد وتعاون. علاقة موضوعية بين الفرد والمجتمع.

العلاقة الرابعة: بحثها مابين الفرد والدولة عندما اراد من الانسان عدم الامتثال لاوامر السلطة التي تؤدي الى العنف والحرب والاقتتال، ونطلق عليها علاقة انكار وتمرد. علاقة موضوعية بين الفرد والدولة.

العلاقة الخامسة: بين الدول بتجنب الحروب والتوسع على حساب الدول الاخرى، لكون اثار هذه العلاقات تتعدى القائم بها والموجهة اليه، لتصل الى قتل واذية الاخرين وما ينجم عنها من اثار اخرى، ونطلق عليها علاقة الوعي والادراك. علاقة موضوعية: (علاقة الدول بعضها ببعض الاخر).

ومن خلال ما ذكر انفا تبين بصحة الفرضية التي اشارت الى مجموعة من العلاقات الذاتية والموضوعية التي بحثها تولستوي بفكرته عن اللاعنف وعددها خمس علاقات: اثنان منها ذاتية، وثلاث علاقات موضوعية.